جامعة تكريت – كلية التربية للعلوم الانسانية .

قسم التاريخ .

الدراسات العليا : الدكتوراه في التاريخ الاسلامي .

مادة : السيرة النبوية .

عنوان المحاضرة : مواقف الشيطان من الدعوة في عصر الرسالة

استاذ المادة : أ. م.د . حسين اعبيد الجبوري

بسم الله الرحمن الرحيم

مواقف الشيطان من الدعوة في عصر الرسالة .

أول موقف للشيطان في السيرة قد أورده ابن سعد ، عندما أعادة قريش بناء الكعبة قبل البعثة بخمسة سنين ، فلما رضت قريش برسول الله ﷺ حكماً في وضع الحجر الأسود ، ووضعه هو في مكانه " ذهب رجل من أهل نجد ليناول النبي ﷺ حجراً يشد به الركن ، فقال العباس بن عبد المطلب : لا ونحاه ، وناول العباس رسول الله ﷺ حجراً فشد به الركن، فغضب النجدي حيث نُحى ، فقال النبي ﷺ أنه ليس يبني معنا في البيت إلا منا ، قال : فقال النجدي : يا عجباً لقوم أهل شرف وعقول وسن وأموال وعمدوا إلى أصغرهم سناً وأقلهم مالاً فرأسوه عليهم في مكرمتهم وحرزهم كأنهم خدم له ، أما والله ليفوتنهم سبقاً ، وليقسمن بينهم حظوظاً وجدوداً ، ويقال إنه إبليس " ، وأورد البلاذري رواية موافقة لرواية ابن سعد.

أورد عروة موقفاً للشيطان كان يوم بيعة العقبة الثانية ، فلما تمت البيعة صاح الشيطان من أعلى الجبل : "يا معشر قريش هذه بنو الأوس والخزرج تحالفوا على قتلكم ، فأفزع ذلك الصوت الأنصار ، فهدأ رسول الله ﷺ من روعهم ، وأعلمهم ان عدو الله إبليس وليس يسمعه أحد ممن تخشون ، ثم صرخ رسول الله ﷺ وناداه يا ابن ازبّ أهذا عملك ؟ سأفرغ لك ، ثم بلغ قريش هذا الحديث فاقبلوا حتى أنهم ليتوطؤون على رحال أصحاب رسول الله ﷺ وما يبصرونهم ، فرجعت قريش"، ورواية ابن هشام موافقة لرواية عروة في المضمون مع اختلاف يسير في اللفظ، ورواية ابن سعد موافقة لرواية ابن هشام وجاءت مختصرة ، مع اختلاف في اللفظ ، وروى البلاذري أن قريشاً لما بلغها الخبر طلبوا أهل يثرب بعد أن عادوا من مكة ، فظفروا بسعد بن عبادة ، فقالوا : "أنت على دين محمد ﷺ ، قال : نعم ، فأوثقوه رباطاً حتى خلصه مطعم بن عدي ، وكان له صديقاً "، ورواية الفاكهي موافقة لروايات عروة وابن هشام وابن سعد في ما يخص موقف الشيطان يوم بيعة العقبة، ورواية الطبري موافقة لرواية عروة وابن هشام وابن سعد والفاكهي.

وروى الزهري موقف الشيطان في دار الندوة لما اجتمعت قريش تأتمر لقتل رسول الله ﷺ ، وقال الملأ من قريش لا يدخلن معكم أحد ليس منكم ، فدخل معهم الشيطان في صورة شيخ من أهل نجد ، فقال بعضهم هذا شيخ من أهل نجد ليس عليكم من هذا عين ، فأخذ القوم يعرضون آرائهم والشيطان يفندها ، قالوا نخرجه ، قال يفسد الناس عليكم ثم يحملهم على قتالكم ، ثم قالوا نحبسه في دار ، قال الشيطان يخرجه قومه ، فلم يزل بهم حتى قرروا قتل رسول الله ﷺ ، فقال نعم الرأي، ورواية ابن هشام موافقة لرواية الزهري في هذا الموقف، ورواية ابن سعد موافقة لرواية الزهري ، وابن هشام، ورواية الطبري موافق لما تقدم من رواية في موقف الشيطان في اجتماع دار الندوة في بعض الجوانب ، وزاد فيها " قال أبو جعفر : زاد بعضهم في هذه القصة في هذا الموضع: وقال له [أي رسول الله ﷺ لعلي ابن أبي طالب] : إن أتاك ابن أبي قحافة ، فأخبره أني توجهت إلى ثور ، فمره فليلحق بي ، وأرسل إلي بطعام ، واستأجر لي دليلاً يدلني على طريق المدينة ، واشتر لي راحلة ".

أما ابن اسحاق فقد روى موقفاً للشيطان مع حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فبعد أن نصر النبي ﷺ وشج رأس أبي جهل كما تقدم ذكره ، رجع إلى بيته فأتاه الشيطان فقال : " أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ ، وتركت دين آبائك للموت كان خير مما صنعت فأقبل على حمزة بثه فقال : ما صنعت ... فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان وتزيينه حتى أصبح ، فغدا على رسول الله ﷺ فقال: يا ابن اخي إني قد وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه ... فحدثني حديثاً فقد اشتهيت يا ابن أخي أن تحدثني ، فأقبل رسول الله ﷺ فذكره ووعظه وخوفه وبشره ، قال : فألقى الله عز وجل في نفسه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ فقال أشهد أنك صادق ، شهادة الصدق العارف ، فأظهر يا بن أخي دينك".

والرواية الثانية لأبن اسحاق في موقف الشيطان يوم تلا رسول الله ﷺ سورة النجم ، ذلك أن هذه سورة قد أنزلت على رسول الله ﷺ فقرأها ﷺ "فأنصت لها كل مسلم ومشرك ، حتى انتهى إلى قوله :﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ فأصاخوا له والمؤمنون يتصدقون ، وارتد ناس حين سمعوا سجع الشيطان ، فقال : والله لنعبدهن ليقربونا إلى الله زلفا ، وعلم الشيطان بتيك الآيتين كل مشرك وذلت بها ألسنتهم ، وكبر ذلك على رسول الله ﷺ حتى أتاه جبريل عليه السلام ، فشكا إليه هاتين الآيتين ، وما لقي من الناس فيهما ، فتبرأ حبريل عليه السلام منهما وقال : لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله عز وجل ، وقلت ما لم يقل لك ، فحزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً ، وخاف ، فأنزل الله عز وجل تعزية له :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ".

لم يذكر ابن اسحاق في روايته ما ألقى الشيطان على مسامع المشركين وإنما أشار إلى ذلك إشارة خفيفة فهو لم يورد قول الشيطان (وتلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى) كما هو مشهور في هذه القصة ، مع أن هذا الربط بين قصة لبس الشيطان على الناس ، ونزول آية سورة الحج مستبعد على الوجه الذي ذكر الراوي ، إذ إن تلاوة سورة النجم حسب ما أوردها ابن اسحاق كانت عند هجرة الحبشة الأولى في السنة الخامسة للبعثة، يبدو أن هذا التوقيت غير دقيق والصواب أنه كان في آخر العهد المكي، ونزول سورة الحج في أخر العهد المدني وهي السورة (103) نزولاً.

أما الطبري فروى خبر لبس الشيطان في التلاوة من وجه آخر بقوله : "لما رأى رسول الله ﷺ تولي قومه عنه ، وشق عليه ما يرى من مباعدتهم ما جاءهم به من الله ، تمنى في نفسه أن يأتيه الله ما يقارب بينه وبين قومه ... فأنزل الله عز وجل :

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ فلما انتهى إلى ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾، ألقى الشيطان على لسانه ، لما كان يحدّث به نفسه ، ويتمنى أن يأتي به قومه (تلك الغرانيق العلا ، وإن شفاعتهن لترتجى) فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ... فأصاخوا له ... وسجد من في المسجد من المشركين ... وأتى جبريل رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله عز وجل ، وقلت ما لم يقل لك ، فحزن رسول الله

ﷺ عند ذلك حزناً شديداً ، وخاف من الله خوفاً كثيراً ، فأنزل الله عز وجل يعزيه ويخفف عليه الأمر ...فنسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته ... فأنزل الله عز وجل:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ ...

فلما جاء من الله ما نسخ ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيه ، قالت قريش : ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتكم عند الله ، فغير ذلك وجاء بغيره ... فازدادوا شراً إلى ما كانوا عليه" ، وفي رواية أخرى روى الخبر ذاته وأضاف إليه أن الله عز وجل انزل على رسول الله ﷺ :

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ﴾

ويبدو ان الرواية الثانية أدق من روايته الأولى ، فسورة الإسراء مكية ، وسورة الحج مدنية ، والحادثة وقعت في العهد المكي إن صحت الرواية .

إلا ان آثار هذا الموقف الشيطاني لا تزال باقية إلى يومنا هذا فعلى سبيل المثال نورد قول أحد المستشرقين في هذه القصة فيقول : " وإذا قارنا الروايات المختلفة ... سنجد على الأقل حقيقتين مؤكدتين أولهما ،أنه حدث ذات مرة ان قرأ محمد [ﷺ] هذه الآيات الشيطانية علناً باعتبارها جزءاً من القرآن ونظن أن هذه القصة لم يخترعها مسلمون متأخرون زمناً ولا نظن أن غير المسلمين قد أقحموها في التاريخ الإسلامي ... وثانيهما أنه من المؤكد أن محمد [ﷺ] قد أعلن بعد ذلك أن هذه الآيات الشيطانية ليست من القرآن ، وأن آيات أخرى قد حلت محلها تحمل مضموناً مختلفاً تماماً ، والروايات الأولى لا تحدد الفترة الزمنية بين نطق محمد [ﷺ] بهذه الآيات الشيطانية وإنكاره لها ، أنه من المحتمل أن ذلك قد استغرق أسابيع أو حتى شهوراً " ، وقد رد على هذا القول الكثير من الباحثين، أما قصة الغرانيق سيأتي الحديث عنها في موضوعها هجرة الحبشة .

وروى ابن هشام موقف للجن يوم الهجرة : " ثم انصرفوا ، فمكثنا ثلاث ليال ما ندري أين وجه رسول الله ﷺ حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وأن الناس ليتبعونه ، يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزَى الله ربُّ الناس خيرَ جَزائه رفيقَيْن حلاَّ خَيْمَتَيْ أمّ مَعْبَدِ

هُما نَزَلا بالبَرِ ثُمَّ تَرَوَّحـــا فأفلح من أمسى رفيقَ محمد

ليهنِ بَني كَعْب مكانُ فتاتهـم ومقعدها للْمُؤمنين بمرصـد

... فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ وان وجهه إلى المدينة " ، وجاءت رواية الطبري الأولى موافقة لرواية ابن هشام في موقف الجن يوم الهجرة تماماً، وقدم في هذا الموقف رواية ثانية جاء فيها : "سمعت قريشاً قائلاً يقول في الليل على أبي قبيس :

فإن يسلم السعدان يصبح محمد بمكة لا يخشى خلاف المخالف .

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : من السعدان ؟ سعد بكر ، سعد تميم ، سعد هذيم ، فلما كان في الليلة الثانية ، سمعوه يقول :

أيا سعد سعد الأوس أنت ناصراً ويا سعد سعد الخزرجي الغطارف .

أجيبا إلى داعي الهدى وتمنيا على الله في الفردوس منية عارف .

فإن ثواب الله للطالب الـهدى جنان من الفردوس ذات رفارف .

فلما اصبحوا قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ".

ولا يفوتنا أن نذكر في هذا الموضع أنه ليس كل مواقف الجن كانت سلبية ، بل أورد مثلاً ابن اسحاق روايتين تفيد أن الجن الذين سمعوا تلاوة رسول الله ﷺ ، عندما بعثهم قومهم ليتقصوا خبر منعهم من استراق السمع بعد أن كانوا يقعدون مقاعد من السماء يسترقون فيها السمع ويلقونه على الكهنة ، عادوا إلى قومهم يدعونهم إلى الإيمان به بعد أن أمنوا هم ، فيقص الله سبحانه وتعالى لنا قصتهم في سورة الجن :

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾.

وأورد الطبري موقف إيجابي آخر للجن مؤداه : " إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خير ثقيف ، حتى إذا كان بنخلة ، قام من جوف الليل يصلي ، فمر به نفر من الجن الذين ذكر الله عز وجل ، سبعة من جن أهل نصيبين اليمن، فاستمعوا له ، فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا ، فقص الله عز وجل خبرهم عليه :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، وقال : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ إلى أخر القصة من خبرهم في هذه السورة ، قال محمد : وتسمية النفر من الجن الذين استمعوا الوحي : حسا ، ومسا ، وشاصر ، وناصر ، وأينا الأرد ، وأينين ، والأحقم "، خالف بذلك الطبري ما أورده البخاري ومسلم في قصة الجن الذين استمعوا لتلاوة رسول الله ﷺ ، فالروايات التي أوردها البخاري ومسلم والتي ذكرناها في مبحث سابق ، تذكر أن رسول الله ﷺ كان ذاهباً إلى الموسم ليعرض نفسه على القبائل ، والطبري ذكره عائداً من رحلة الطائف ، ثم أنَّ ذكر الطبري لأسماء الجن فيه شيء من الغرابة ، فمن يعرف أسماء الجن إذا لم يوحي الله سبحانه وتعالى إلى رسوله ﷺ شيئاً عن أسمائهم ، ولم يروى عنه ﷺ شيئاً من ذلك .